الدراسة المصطلحية لمتون السنة النبوية

الرؤية والمنهج

د.متعب بن سالم الخمشي

الأستاذ المشارك في قسم السنة وعلومها

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة القصيم

ملخص البحث :

تمثل الدراسة المصطلحية للعلوم بوجه عام توجهاً ثرياً للباحثين في العصر الحاضر، أما على وجه الخصوص فإنه ينبغي أن يكون له حظٌ وافرٌ في الدراسات الشرعية ، ولئن كانت الغاية من تنزيل الوحي البيان والفهم ، فإن من أساسيات ذلك فهم المصطلحات الواردة في لسان الشرع، وذلك حديث ينطبق تماماً على وحي السنة ؛ فلا طريق لفهم ما ورد فيها إلا بفهم المصطلحات الدائرة على اللسان النبوي وتحليل معانيه من جهات متعددة مناسبة، من أجل ذلك يأتي هذا البحث للحديث عن الدراسة المصطلحية لمتون السنة النبوية تأصيلاً وتطبيقاً ، وذكرِ بعض ما يُمكن أن يُسهم في رسم مسار البحث فيها .

الكلمات المفتاحية :

المصطلحية، المتون، السنة .

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد..

فتمثل الدراسة المصطلحية للعلوم بوجه عام توجهاً ثرياً للباحثين في العصر الحاضر، أما على وجه الخصوص فإنه ينبغي أن يكون له حظٌ وافرٌ في الدراسات الشرعية ، ولئن كانت الغاية من تنزيل الوحي البيان والفهم فإن من أساسيات ذلك فهم المصطلحات الواردة في لسان الشرع في جميع سياقاتها وسباقاتها ، وذلك حديث ينطبق تمام الانطباق على وحي السنة ؛ فلا طريق لفهم ما ورد فيها إلا بفهم المصطلحات الدائرة على اللسان النبوي وتحليل معانيه من جهات متعددة مناسبة، و لا يكون ذلك إلا عبر الدراسات المتخصصة ذات الإجراءات العلمية ؛ من أجل ذلك أحببت المشاركة في هذا البحث للحديث عن الدراسة المصطلحية لمتون السنة النبوية تأصيلاً وتطبيقاً ، وذكرِ بعض ما يُمكن أن يُسهم في رسم مسار البحث فيها تحت مجال الحديث الموضوعي، وقد اخترت أن يكون هو محور مشاركتي في مؤتمر " مستقبل الدراسات الحديثية – رؤية استشرافية"، واخترت أن يكون عنوانه هو :" **الدراسة المصطلحية لمتون السنة النبوية – الرؤية والمنهج**"، ويأتي هذا البحث تحت مظلة المحور الخامس : فقه النص الحديثي، والذي يشمل البحوث المتخصصة في مستقبل دراسات متون السنة النبوية ، وما يتطرق للمتن من ارتباط بالعلوم الأخرى.

وتحديد مشكلة البحث فيما يلي :

أولاً : ما مفهوم الدراسة المصطلحية لمتون السنة النبوية ؟

ثانياً : ما مدى حاجة البحث العلمي في دراسات السنة النبوية إلى الاهتمام بالدراسة المصطلحية؟

ثالثاً: ما أبرز الإجراءات المقترحة التي يُمكن أن تُسهم في رسم الدراسة المصطلحية لمتون السنة النبوية؟

وخطته ستكون على النحو التالي :

مقدمة

المبحث الأول : مفهوم الدراسة المصطلحية لمتون السنة النبوية.

المبحث الثاني : أهمية الدراسة المصطلحية لمتون السنة النبوية.

المبحث الثالث : منهج مقترح لإجراءات الدراسة المصطلحية لمتون السنة النبوية.

خاتمة

أسأل الله – سبحانه وتعالى – أن يوفقنا لصالح القول والعمل ..

والله أعلم ، وصلى الله وسلم على نبينا محمدٍ ، وعلى آله وصحبه أجمعين ..

المبحث الأول: مفهوم الدراسة المصطلحية لمتون السنة النبوية

تعتبر النصوص النبوية أحد أدلة التشريع الإسلامي ، وتخضع لعناية فائقة من قبل المجتهدين تحقيقاً وتدقيقاً وشرحاً وتفسيراً ، اجتهاداً في بيان الثبوت من عدمه ، ومن ثمّ تأملاً في المعاني والمفاهيم والدلالات التي حملتها، وإذا ما أمعنا النظر فيما يحتاجه بيان النص النبوي نجد تنوعاً في ذلك من العناية بالألفاظ والمفردات ودلالات النص والعناية بالسياق العام والخاص وأسباب الورود وغير ذلك، ومما يأتي في هذا النسق الدراسة المصطلحية لمتون السنة النبوية .

ويجدر في البدء أن نتناول بالتعريف الكلمة التي عليها المدار في هذا البحث ، وهي كلمة "المصطلح":

فالمصطلح في اللغة تعود إلى الفعل "اصطلح " المأخوذة من " صلح" ، قال في "تهذيب اللغة":" الليث : الصُّلْح : تَصالُحُ القوم بينهم ، والصَّلاَح : نقيض الفساد ، والإصلاح : نقيض الإفساد ، ورجُلٌ صالح : مُصلحٌ ، والصالح في نفسه ، والمصلح في أعماله وأُموره ، وتقول : أصلحتُ إلى الدابة إذا أحسنتَ إليها . والصِّلْحُ : نهر بمَيْسان . ويقال : صلَح فلانٌ صُلُوحاً وصَلاحاً ، وأنشد أبو زيد : فكيفَ بأطرافي إذا ما شَتَمْتَني وما بعد شَتْم الوالدين صُلُوح والصِّلاَح بمعنى المصالحة ، والعرب تؤنِّثها ، ومنه قول بِشْر بن أبي خازم : يَسُومون الصِّلاح بذاتِ كَهْفٍ وما فيها لهم سَلَعٌ وَقَارُ وقوله : وما فيها أي في المصالحة ولذلك أنّث الصِّلاَح وصَلاَحِ : اسم لِمَكَّة على فَعَالِ . والمصْلَحَةُ : الصَّلاَح . وتصالح القوم واصّالحوا واصطلحوا بمعنى واحد"[(١)] .

وقال ابن فارس :" الصاد واللام والحاء أصلٌ واحدٌ يدلُّ على خِلاف الفَساد. يقال صلُحَ الشَّيءُ يصلُحُ صلاحاً. ويقال صَلَح بفتح اللام. وحكى ابنُ السكِّيت صلَحَ وصلُح. ويقال صَلَح صُلوحاً"[(٢)].

وقال ابن منظور :"الصَّلاح ضدّ الفساد صَلَح يَصْلَحُ ويَصْلُح صَلاحاً وصُلُوحاً ...والإصلاح نقيض

(١) "تهذيب اللغة" ، للأزهري ٤ /١٤٢-١٤٣ .
(٢) "معجم مقاييس اللغة"، لابن فارس ٣ /٣٠٣ .

الإفساد والمِصْلَحة الصَّلاحُ والمِصلَحة واحدة المصالح والاسْتِصْلاح نقيض الاستفساد ...والصُّلْحُ تَصالُحُ القوم بينهم والصُّلْحُ السِّلْم وقد اصْطَلَحُوا وصالحوا واصَّلَحُوا وتَصالحوا واصَّالحوا مشدّدة الصاد قلبوا التاء صاداً وأَدغموها في الصاد بمعنى واحد وقوم صُلُوح مُتصالِحُون كأَنهم وصفوا بالمصدر"(٣).

ومن خلال هذا العرض يظهر أن هنالك معنى ظاهراً من جذر الكلمة وهو الإصلاح ضد الفساد ، وهنالك معنى باطناً وهو معنى الاتفاق، وهذه المعاني ينبغي استحضارها حال التعريف بالمصطلح ، والذي ورد له عدة تعاريف ، ومنها :

قال الجرجاني :" الاصطلاح عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما ينقل عن موضعه الأول وإخراج اللفظ من معنى لغوي إلى آخر لمناسبة بينهما.

وقيل : الاصطلاح اتفاق طائفة على وضع اللفظ بإزاء المعنى.

وقيل : الاصطلاح إخراج الشيء عن معنى لغوي إلى معنى آخر لبيان المراد .

وقيل : الاصطلاح لفظ معين بين قوم معينين"(٤).

وعرّفه أبو البقاء الكفوي في كتابه " الكلّيّات ": الاصطلاح هو اتفاق القوم على وضع الشيء، وقيل: إخراج الشيء عن المعنى اللغويّ إلى معنى آخر لبيان المراد"(٥).

ويلخّص الدكتور أحمد مطلوب، الأمين العام للمجمع العلميّ العراقيّ، الشروط الواجب توفرها في المصطلح والتي يمكن أن نستشفّها من التعريفات السابقة في ما يأتي:

١) اتفاق العلماء عليه للدلالة على معنى من المعاني العلميّة،

٢) اختلاف دلالته الجديدة عن دلالته اللغويّة الأولى.

---

(٣) "لسان العرب" ، لابن منظور ٤ /٢٤٧٩ .

(٤) "التعريفات" ، للجرجاني ٤٤.

(٥) "الكليات"، لأبي البقاء الكفوي ١٢٩.

٣) وجود مناسبة أو مشاركة أو مشابهة بين مدلوله الجديد ومدلوله اللغويّ (العام)"[٦].

ومن تعريفات المصطلح :

"اللفظ الذي يُسمّي مفهوماً معيَّناً داخل تخصُّص ما"[٧].

" إشارة لغوية متخصصة (تقنية أو علمية)، وهو يتألف من تسمية تعود إلى مفهوم. التسمية تنتمي إلى اللغة . المفهوم ينتمي إلى الفكر"[٨].

هذا في تعريف المصطلح ، أما الدراسة المصطلحية ، فقد عُرّفت بعدة تعاريف ، ومنها:

"بحث في المصطلح لمعرفة واقعه الدلالي، من حيث مفهومه، وخصائصه المكوِّنة له، وفروعه المتولِّدة عنه ضمن مجاله العلمي المدروس به"[٩].

وعرّفها مصطفى اليعقوبي بقوله :" تناول المصطلح بإعمال الذهن في نصوصه قصد الكشف عن واقعه الدلالي والاستعمالي كشفاً يجعله محدد المعاني والخصائص والعلاقات والضمائم، ومعالجة ما يتعلق به من قضايا ومسائل"[١٠].

وقدّم إدريس الفاسي الفهري تعريفين متمايزين للدراسة المصطلحية:

- أولهما مُجْمَل ينبني على اعتِبار: "الدراسةَ المصطلحية منهاج عمل يحصر ويصف استعمالات واصطلاحات علم ما في نص من نصوص ذلك العلم".

- ثانيهما مُفصَّل جعل فيه من مهامّ الدراسة المصطلحية: "استخراج اصطلاحات نص من نصوص علم

---

(٦) "في المصطلح النقديّ"، أحمد مطلوب ٨. وانظر : " علم المصطلح لطلبة كليات الطب والعلوم الصحية "، بإشراف أ.د. محمد هيثم الخياط ٦٨.

(٧)"قاموس اللسانيات مع مقدمة في علم المصطلح"، د. عبد السلام المسدي ١٠.

(٨)" علم المصطلح.. مبادئ وتقنيات" ، ماري -كلود لوم ١٩ نقلاً عن لويك دوبيكير عالم في اللسانيات وأستاذ علم المصطلح .

(٩) "المصطلح الأصولي عند الشاطبي"، فريد الأنصاري ٥٦.

(١٠) تعقيب على ورقة د. فريد الأنصاري" منهجية دراسة المصطلح التراثي" ٢٤٦.

ما وتحليل استعمالاتها، ثم تعليل معانيها وتصنيفها بحسب شواهد النص نفسه، من أجل تعريف المفاهيم التي تدلّ عليها تلك الاصطلاحات"[١١].

فالتعريف الأول حديث في وصف وحديث في المنهاج دون إشارة للإجراءات والفائدة من الدراسة، ويُلاحظ في التعريف الثاني أنه حديث غير شامل في الخطوات وتعداد للمهام المتبعة في الدراسة المصطلحية .

وهذان التعريفان مع تعريف مصطفى اليعقوبي تعاريف لم تخل من تعميم وغموض في بعض الألفاظ بشكل لا يُسهم في الكشف عن طبيعة الدراسة[١٢] .

وجاء الشاهد البوشيخي في كتابه منهج الدراسة المصطلحية، فعرّفها بقوله :" ضربٌ من الدرس العلمي لمصطلحات مختلف العلوم وفق منهج خاص بهدف تبيُّن وبيان المفاهيم التي عبرت أو تعبر عنها تلك المصطلحات في كل علم في الواقع والتاريخ معاً "[١٣].

وبعد أن نقلت د. فريدة زمرد هذا التعريف، أكّدت الفرق بين :" الدراسة المصطلحية " و" علم المصطلح " وهو أن الدراسة معنية بمفهوم المصطلح ودلالته بهدف إيصالها إلى المتلقي في مقال يعبر عن الحال ، وليس الهدف هو وضع المصطلح أو تعريبه أو توحيد استعماله، وأن الدراسة تتم عبر مرحلتين : التبيّن والبيان أو بتعبير آخر : الدراسة والعرض [١٤] .

ثم أشارت إلى الغموض الذي ما زال يكتنف مفهوم الدراسة المصطلحية ؛ نظراً لحداثة نشأتها والبحث فيها ، وأن هنالك حاجة ملحة للفصل بين الدراسات المعجمية واللسانية والدلالية وبين الدراسة المصطلحية ، وأن هذا الفصل يجب أن يتم على مستوى المفهوم والموضوع والمنهج أيضاً [١٥].

---

(١١) تعقيب على ورقة د. فريد الأنصاري" منهجية دراسة المصطلح التراثي " ٢٣٥.
(١٢)"مفهوم التأويل في القرآن الكريم دراسة مصطلحية" ٢٩.
(١٣) "نظرات في منهج الدراسة المصطلحية" ، الشاهد البوشيخي ٤٤ .
(١٤) "مفهوم التأويل في القرآن الكريم دراسة مصطلحية" ٣١.
(١٥) المصدر السابق ٣٢.

ثم بعد استطراد في المنهج في الدراسات المصطلحية ، خلصت إلى تعريفها بقولها :

دراسة منهجية جامعة تتبين مفاهيم المصطلحات من نصوصها ، وتُبيّن المقومات الدلالية الذاتية للمصطلح ، وامتداداته داخل النسيج المفهومي للنص عبر ضمائمه واشتقاقاته ، والقضايا الموصولة به[١٦].

وهو تعريف جيد ، وبإجراء تعديل عليه نستخلص منه تعريفاً خاصاً بـ" الدراسة المصطلحية لمتون السنة النبوية " ، وأنها :

بحث منهجي جامع يتبين المصطلحات من نصوص السنة النبوية ، و يُبين المقومات الدلالية الذاتية للمصطلح ، وامتداداته داخل النسيج المفهومي للنص النبوي عبر ضمائمه واشتقاقاته ، والقضايا الموصولة به.

وهذا التعريف فيه تأكيد على تحديد نوعية الدراسة ، وأنها من مسارات البحث العلمي المعنية بضبط المدخلات والمخرجات والمحققة للنتائج العلمية الصحيحة .

(١٦)المصدر السابق ٤٠.

المبحث الثاني:أهمية الدراسة المصطلحية لمتون السنة النبوية

الدراسة المصطلحية مدارها المصطلح ، وهو محور العلوم وأساس نضجها وفهمها ، يقول الشاهد البوشيخي :" ولا سبيل إلى استيعاب أي علم دون فهم المصطلحات ، ولا سبيل إلى تحليل وتعليل ظواهر أي علم دون فقه المصطلحات ، ولا سبيل إلى تحديد أي علم دون تحديد المصطلحات أو مفاهيم المصطلحات ؛ إذ في المصطلحات الصغيرة تسكن صغار العلم وجزئياته، وفي المصطلحات المركبة الكبيرة تُختزن كبار العلم وكلياته ، وفي الأنساق المتضمنة لمعاجم العلوم وأجهزتها المصطلحية يمكن استخلاص رؤيتها ..."[١٧] .

وإذا كان هذا حديثاً مؤكداً عليه في سائر العلوم ، فإنه كذلك في علم السنة النبوية ؛ فالدراسة المصطلحية ستؤدي خدمة عظيمة في تقعيد فهم السنة النبوية ، وبيان مراد النبي ﷺ ، وحظ غير قليل من اختلاف شُرّاح الحديث في مفاهيم الحديث ، والدراسة المصطلحية تُسهم في الترجيح بين هذه الاختلافات ، ومزية نتيجة الفهم فيها أنه جاءت نتيجة توطئة لبعض الأساسيات في فهم المفردات ودلالاتها اللغوية ومجال تداولها وسياق استعمالاتها .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله- في شيء من سياق هذا الحديث :" وهذا باب واسع يطول استقصاؤه، وهو من أنفع الأمور في معرفة دلالة الألفاظ مطلقاً وخصوصاً ألفاظ الكتاب والسنة، وبه تزول شبهات كثيرة كثُر فيها نزاع الناس من جملتها " مسألة الإيمان والإسلام "؛ فإن النزاع في مسماهما أول اختلاف وقع افترقت الأمة لأجله، وصاروا مختلفين في الكتاب والسنة، وكفر بعضهم بعضاً وقاتل بعضهم بعضاً كما قد بسطنا هذا في مواضع أخر..."[١٨].

وإن مما يُبرز أهمية الدراسة المصطلحية في متون السنة النبوية ما توفره من الموضوعية في فهم دلالات النصوص ؛" لأنها معنية بالتركيز على المصطلح داخل النص وليس بمعزل عنه وبالنص من خلال المصطلح لا بعيداً عنه ، وهو يمنح الباحث قدراً مهماً من التجرد عن رأي مسبق أو مذهب حادث، فيعصمه ذلك

(١٧) "نظرات في منهجية الدراسة المصطلحية" ٤٤.
(١٨) "مجموع الفتاوى" ١٧٠/٧.

من مزالق سوء الفهم والتأويل" [١٩].

لقد كان ثاني مقاصد الشارع الإفهام، فلا تكليف إلاَّ من بعد حصوله، وبتمامه يكون الامتثال الذي هو غاية التشريع، وبهذا تتحقق سلطة النص ، والتي هي " قدرته على تحقيق "معنى" ما، يتمتع بقدر من الإلزام، ويقبل التثبيت؛ حتى ينضبط الفهم، ويصح الاستنباط، من خلال المعطيات التي يقدمها "النص" نفسه"[٢٠]، يقول ابن القيم : " لما كان المقصود بالخطاب دلالة السامع وإفهامه مراد المتكلم من كلامه وأن يبين له ما في نفسه من المعاني وأن يدله على ذلك بأقرب الطرق كان ذلك موقوفاً على أمرين: بيان المتكلم ، وتمكن السامع من الفهم ، فإذا لم يحصل البيان من المتكلم ، أو حصل ولم يتمكن السامع من الفهم ، لم يحصل مراد المتكلم ، فإذا بين المتكلم مراده بالألفاظ الدالة على مراده ولم يعلم السامع معاني تلك الألفاظ ، لم يحصل له البيان "[٢١].

وكم للسنة من خصائص في نسقها من خلال المفردات التي كانت ترد على اللسان النبوي، وكان استخدام النبي ﷺ للمفردة يُحكم دلالاتها حيثما وجدت، وبهذه الخاصية في الاستخدام تتحول المفردة في الأحاديث إلى عالم مليء بالدلالات والمعاني العميقة ، وهذا نسق خاص بالسنة النبوية ينبغي توجه الجهود وعناية الدراسات الحديثة بها ، وهو مصداق لما أخبر به النبي ﷺ من أنه قد أُوتي جوامع الكلم، ومعنى ذلك أن لديه ﷺ مقدرةً ليست لأحدٍ من البشر على حبك الحديث وانتقاء مفرداته، وهو أمرٌ فُضِّل به النبي ﷺ ، وجُعل آيةً من آياته، في الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:"بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَبَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أُتِيتُ بِمَفَاتِيحِ خَزَائِنِ الْأَرْضِ فَوُضِعَتْ فِي

(١٩) من مقال بعنوان :" تفسير القرآن من التوجيه المذهبي إلى المدخل المصطلحي" ، د. فريدة زمرد ، منشور على موقع الدراسات القرآنية :
http://www.alquran.ma/Article.aspx?C=٥٥٧٨

(٢٠) من مقال بعنوان : "القراءة الحَدَاثِيَّة للسنة النبوية "عرضٌ ونقد"، للشيخ الدكتور محمد بن عبدالفتاح الخطيب، منشور على موقع الدرر السنية :
https://dorar.net/article/٢٥٨

(٢١) "الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة" (١/ ٣١٠).

يَدِي"[٢٢]. قال أبو عبد الله البخاري بعد أن خرّجه:" وبلغني أن جوامع الكلم أن الله يجمع الأمور الكثيرة التي كانت تُكتب في الكتب قبله في الأمر الواحد والأمرين أو نحو ذلك". وقال ابن الجوزي :" أما جوامع الكلم فهو جمع المعاني الكثيرة في الألفاظ اليسيرة، وفي هذا حثٌّ على التفهم والاستنباط"[٢٣].

وفي الحديث الآخر تقول عائشة -رضي الله عنها- : كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُحَدِّثُ حَدِيثًا ، لَوْ عَدَّهُ الْعَادُّ لأَحْصَاهُ[٢٤] . قال ابن حجر:" أي لو عدَّ كلماته أو مفرداته أو حروفه لأطاق ذلك وبلغ آخرها، والمراد بذلك المبالغة في الترتيل والتفهيم"[٢٥].

المبحث الثالث: منهج مقترح في إجراءات الدراسة المصطلحية لمتون السنة النبوية

تسير الدراسات المصطلحية عبر إجراءات محددة باعتبارها منهجاً لدراسة العلوم وإجراءً عاماً في أي تخصص ، لكن لجِدَّةِ هذا الموضوع في الدراسات الحديثية ولخصوصية الدراسات الحديثية ، فسأعرض الإجراءات هنا، مع بعض الإضافات والتطبيق على ما يمكن أن يكون مثالاً لغيره ، وتكون هذه الإجراءات مقترحاً يمكن أن يُطبق على سائر المصطلحات الواردة في السنة النبوية .

الموضوع بعنوان " مفهوم العافية في السنة دراسة مصطلحية "

يُلاحظ أن مصطلح " العافية " تكرر في السنة النبوية في غير ما حديث ، قال الإمام النووي: "وقد كثرت الأحاديث في الأمر بسؤال العافية، وهي من الألفاظ العامة المتناولة لدفع جميع المكروهات في البدن والباطن في الدين والدنيا والآخرة"[٢٦].

وقال الإمام الجَزَرِيُّ : "تواتر عنه ﷺ دعاؤه بالعافية، وورد عنه ﷺ لفظاً ومعنى من نحو خمسين

---

(٢٢) أخرجه البخاري(كتاب التعبير/باب المفاتيح في اليد)(٣٦/٩)ح٧٠١٣، ومسلم(كتاب المساجد ومواضع الصلاة) (٣٧١/١)ح٥٢٣.

(٢٣) "كشف المشكل" ٣٤٩/٣. وانظر: شرح السنة ١٩٨/١٣.

(٢٤) أخرجه البخاري (كتاب المناقب/باب صفة النبي ﷺ) (١٩٠/٤) ح ٣٥٦٧، وأخرجه مسلم (كتاب الزهد والرقائق/باب التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم) (٢٢٩٨/٤) ح ٢٤٩٣.

(٢٥) "فتح الباري"، لابن حجر ٥٧٨/٦.

(٢٦)" شرح النووي على صحيح مسلم"(٤٦/١٢).

طريقاً"[٢٧].

وقال الشوكاني : "وبالجملة فالأحاديث في هذا المعنى كثيرةٌ جدّاً، منها ما ورد في الدعاء بخصوص العافية، ومنها ما ورد في الدعاء بها مع غيرها من الأدعية، واستيفاءُ ذلك يحتاج إلى مزيدِ بسطٍ، ومَنْ له خبرةٌ بعلم السنة المطهرة عَرَفَ صِدقَ ما قاله المصنف –رحمه الله– في كلامه هذا الذي ختم به كتابه أن الدعاء بالعافية ورد من نحو خمسين طريقاً، والتواتر يثبت بدون هذا المقدار، وبه تعرف أن ثبوت الدعاء عن رسول الله ﷺ بالعافية قولاً منه وتعليماً للغير مقطوعٌ به معلومٌ صدقه وصحة ما اشتمل عليه من الفوائد الشاملة للدارين..."[٢٨].

وقد عُني المحدثون بالأحاديث الواردة في العافية، وعقد جماعةٌ منهم أبواباً لها في مصنفاتهم، فهذا الإمام ابن أبي شيبة يُترجم في "المصنف" (باب الدعاء بالعافية)، وهذا الإمام البخاري يُترجم في كتابه "الأدب المفرد" (باب من سأل الله العافية)، وهذا الإمام ابن ماجه يُترجم في "السنن" (باب الدعاء بالعفو والعافية).

إذن هو مصطلح متداول في السنة النبوية ويلفت النظر في مواضع متعددة ، وقد توجه الباحث إلى دراسة هذا المصطلح وفق هذا السياقات ، وستكون إجراءات الدراسة على النحو التالي :

أولاً : الإحصاء :

الإحصاء عرّفه أ.د. الشاهد البوشيخي بأنه :" الاستقراء التام لكل النصوص التي ورد بها المصطلح المدروس، وما يتصل به، لفظاً ومفهوماً وقضية، في المتن المدروس "[٢٩] .

وهو إجراء مهم في الدراسة المصطلحية ، فمن أجل الاستيعاب التام للمعنى الدلالي لا بد من إجراء الإحصاء ، وذلك بتتبع ورود المصطلح في الحديث النبوي، حيث تتم فهرسة جميع أماكن ذكر المصطلح

(٢٧) "عدة الحصن الحصين"(٤٥٧).
(٢٨) " تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين"، للشوكاني (٤٥٩).
(٢٩) "نظرات في المصطلح والمنهج" ٢٢.

في جميع الأحاديث ومن جميع المصادر ؛ وذلك لتتبع تغير المصطلح أو ثباته ، وعنصر تفعيل هذا الإجراء فيما يتعلق بالسنة النبوية هو الجرد والاستقراء والتخريج الموسع، ولا بد من التأكد من ألفاظ الحديث وسياقه ، حتى يثبت ما يعتقد أنه هو اللفظ الذي نطق به النبي ﷺ .

ومن المعروف في التخريج الموسع العناية بفروق المتن ، ويزداد التأكيد على هذه العناية عندما يُهتم بتحرير اللفظ الصادر من النبي ﷺ كما هو معنا في الدراسة المصطلحية ؛ ذلك أن الأغلب في نقل النصوص في القرون الأولى كان مشافهة ؛ ولذا فاحتمال التصرف فيها بالرواية بالمعنى وارد جداً؛ ولا إشكال فيه فله ضوابط؛ ولذا نجد اختلاف الألفاظ بين الرواة ، وعليه فلا بد من العناية بتحرير اللفظ الصادر من النبي ﷺ على وجه التحديد.

ولا بد من العناية بتصنيف ما تمّ جمعه من المصطلحات حسب الزمان والمكان وحسب ورود السياق والسباق ، وغير ذلك .

" مصطلح العافية " : بتتبعه وجرد الكتب التسعة نجد أنه ورد في ثلاثة عشر حديثاً ، وبعد دراستها وتخريجها تخريجاً مستوفى، نجد أن الأحاديث الصحيحة والحسنة منها سبعة أحاديث، والباقي أحاديث ضعيفة ، وبعد ذلك ننظر في تصنيفها لنجد أنها وردت في سياقات متعددة ، منها : سؤال العافية حال الحرب كما في حديث عبد الله بن أبي أوفى[٣٠] ، وسؤال العافية عند زيارة القبور كما في حديث بريدة [٣١] ، وسؤال العافية عند النوم كما في حديث عبد الله بن عمر [٣٢] ، وسؤال العافية في الصباح والمساء كما في حديث عبد الله بن عمر[٣٣]... إلخ .

---

(٣٠)أخرجه البخاري (كتاب الجهاد/باب لا تمنوا لقاء العدو)(٥١/٤)(٢٠٥٦) ، ومسلم(كتاب الجهاد والسير/ باب كراهة تمني لقاء العدو والأمر بالصبر عند اللقاء) (١٣٦٢/٣)(١٧٤٢).

(٣١)أخرجه مسلم (كتاب الجنائز/باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها)(٦٧١/٢) (١٠٤) .

(٣٢)أخرجه مسلم(كتاب الذكر والدعاء والتوبة/باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع) (٢٠٨٣/٤)(٢٧١٢).

(٣٣)أخرجه أبو داود(كتاب الأدب/باب ما يقول إذا أصبح)(٦٢٧/٥)(٥٠٧٤)، وابن ماجه(كتاب الدعاء /باب ما يدعو به الرجل إذا أصبح وإذا أمسى) (١٢٧٣/٢)(٣٨٧١) ، وأحمد(٤٠٣/٨)(٤٧٨٥)، وإسناده صحيح .

ثانياً : الدراسة المعجمية للمصطلح :

وهذه خطوة مهمة تُمهد الطريق إلى أسرار المصطلح وخباياه ، فالباحث في الدراسة المصطلحية، سيقف على المعنى العام للجذور اللغوية للمصطلح، وسيقف على المعاني الخاصة لمشتقات هذا الجذر وذلك بالاعتماد على أمهات المعاجم، والدراسة المعجمية لهذا المصطلح لتبين أصول اللفظ في اللغة وضبط مداره ومن ثم معرفة ما أضافته السنة على اللفظ من مضامين الوحي ، ومأخذ ما أضيف للفظ النبوي.

ونرجع إلى مثال مصطلح "العافية "، حيث بمراجعة كتب اللغة نجد أن العافية مأخوذة من عَفَا يَعْفُو عَفْواً فهو عافٍ وعَفُوٌّ، وعافاه اللهُ عافيةً، و"عافية" اسم يُوضع موضع المصدر الحقيقي وهو المِعافاةُ [٣٤]، وقيل : هي مصدر، قال ابن سِيده: "وأَعْفاهُ الله وعافاهُ مُعافاةً وعافِيَةً مصدرٌ كالعاقِبة والخاتِمة"[٣٥].

ومادة (عفا) تطلق في اللغة على عدة معانٍ ، أبرزها :

١. المحو والدَّرس، تقول العرب: "عفَت الرياحُ الآثارَ إذا دَرَسَتْها ومَحَتْها".

٢. الصحة والبُرء ، يُقال : "عافاه الله أَصَحَّه وأَبْرأَه".

٣. الصَّفح، يُقال: "عَفا عن ذَنْبِه عَفْواً صَفَح وعَفا الله عنه وأَعْفاه". ومنه قول الحق-تعالى-﴿**فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ**﴾ **[البقرة:١٧٨]**.

٤. طلب المعروف والفضل ، يُقال : "عَفاه يَعْفُوه أَتاه، وقيل: أَتاه يَطْلُب معروفه، والعَفْوُ المِعْروف". والعافيةُ طُلَّابُ الرزقِ من الإنسِ والدوابِّ والطَّيْر.

٥. الكثرة، يُقال : "عَفا القومُ كَثُرُوا وفي التنزيل: ﴿**حَتَّىٰ عَفَواْ**﴾ **[الأعراف:٩٥]** أَي كَثُرُوا، وعَفا النَّبتُ

(٣٤) انظر: "تهذيب اللغة"، للأزهري (٢٢٢/٣)، " لسان العرب"، لابن منظور (٣٠١٨/٤).
(٣٥)"المحكم والمحيط الأعظم"، لابن سيده (٣٧٢/٢).

والشَّعَرُ وغيرُه يَعْفُو فهو عافٍ كثُرَ وطالَ، وأَرضٌ عافيةٌ لم يُرْعَ نَبْتُها فوَفَرَ وكَثُرَ..."[٣٦].

وهذه المعاني ستتم الاستفادة منها وتوظيفها في بيان هذا المصطلح .

ثالثاً : الدراسة النصية للمصطلح :

في هذه الخطوة سيتم دراسة ما جمع من مصطلحات تلك النصوص المحصاة، وهي مرحلة حاسمة في البحث، تقوم على ضبط مفهوم المصطلح، وذلك بعد تتبع دلالاته الجزئية في كل نص، بتصنيف كل مادة حسب المستعمل منها اصطلاحياً، وفهم نصوص كل مصطلح نصاً نصاً، وبهذه الإجراء ستظهر صفات المصطلح سواء كان واصفاً أو موصوفاً واستخراج علاقات المصطلح التي تربطه مع غيره من الائتلاف أو علاقة التعاطف أو علاقة الاختلاف كالتضاد أو علاقة التداخل والتكامل كالعموم والخصوص ، كما ستظهر مشتقات هذا المصطلح، والإضافات التي أضيفت للمصطلح .

في هذه الخطوة-كما تقدّم- سيتم دراسة ما جمع من مصطلحات تلك النصوص المحصاة، فمثلاً بمراجعة كتب الشروح نجد أن " العافية" استعملت على عدة معاني :

في حديث ابن أبي أوفى، وفيه سؤال العافية عند لقاء العدو نجد أن العيني يذكر أن المراد بالعافية السلامة من المكروهات والبليات في الدنيا والآخرة[٣٧].

وفي حديث بريدة، وفيه سؤال العافية عند الموت نجد أن الصنعاني يذكر أن العافية للميت مرادها

(٣٦) يُنظر في هذه المعاني : "تهذيب اللغة" (٢٢٢/٣)، "الصحاح"، للجوهري (٢٤٣٣/٦)، "معجم مقاييس اللغة"، لابن فارس (٥٧/٤)، "المحكم والمحيط الأعظم"، لابن سيده (٣٧٢/٢)، "لسان العرب" (٣٠١٨/٤).
(٣٧) "عمدة القاري" (٣٥ /٣٤١).

سلامته من العذاب ومناقشة الحساب(٣٨).

وفي حديث ابن عمر في سؤال العافية عند النوم نجد أن المناوي يذكر أن المراد بها :السلامة في الدين من الافتنان وكيد الشيطان والدنيا من الآلام والأسقام(٣٩) .

وفي حديث ابن عمر في أذكار الصباح والمساء نجد أن الصنعاني يُفصّل حسب ورودها في الحديث، فيذكر أن العافية في الدين السلامة من المعاصي والابتداع وترك ما يجب والتساهل في الطاعات وفي الدنيا السلامة من شرورها ومصائبها وفي الأهل السلامة من سوء العشرة والأمراض والأسقام وشغلهم بطلب التوسع في الحطام وفي المال السلامة من الآفات التي تحدث فيه(٤٠).

رابعاً : الدراسة المفهومية للمصطلح :

ويُقصد بالدراسة المفهومية للمصطلح :" دراسة النتائج التي فُهمت واستخلصت من نصوص المصطلح وما يتصل به وتصنيفها تصنيفاً مفهومياً يجلي خلاصة التصور المستفاد لمفهوم المصطلح المدروس في المتن والدروس "(٤١).

وفي هذا الإجراء سيتم دراسة المصطلح بنظرة عامة تُعنى بالضمائم والمشتقات ؛ للوصول للمعنى الكلي للمصطلح ، وهل طرأ تغيرٌ في المعنى أو ثبات ؛ وإذا كان الجواب ب" نعم " ؛ فلماذا؟(٤٢).

فمثلاً مصطلح "العافية" ذكر النووي تحديداً لمفهومها ، فذكر أنها :" من الألفاظ العامة المتناولة لدفع جميع المكروهات في البدن والباطن في الدين والدنيا والآخرة"(٤٣).

وقال العظيم آبادي : "السَّلَامَة مِنَ الْآفَات"(٤٤).

---

(٣٨) "سبل السلام" (٢ /١١٨).

(٣٩) "فيض القدير" (٢ /١٩٥).

(٤٠) "سبل السلام" (٤ /٢٢١).

(٤١) "نظرات في منهج الدراسة المصطلحية"(٨) .

(٤٢) يُنظر : الدراسة المفهومية، د. فريدة زمرد بحث منشور في "مجلة دراسات مصطلحية " العدد الخامس ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م(٥٤).

(٤٣)"شرح النووي على مسلم" (١٢ /٤٦).

(٤٤) " عون المعبود"، للعظيم آبادي (١٥٦٥/٤).

وقال ملا علي القاري : "السلامة من الآفات الدينية والحادثات الدنيوية بتحملها والصبر عليها والرضا بقضائها في الدنيا والآخرة"(٤٥).

وفي كتب اللغة : "العافية : دفاع الله تعالى عن العبد"(٤٦) ، وهي على هذا التعريف في كلِّ شيءٍ بحسبه ، فالعافية في الدين دفاع الله عن العبد في أمور دينه ما يَشينه ويَضره، والعافية في الدنيا دفاع الله عن العبد ما يضر دنياه، والعافية في الأهل دفاع الله عنهم ما يلحقهم من البلايا والأسقام وغير ذلك، والعافية في المال دفاع الله عن العبد كل ما يضر ماله من الغرق والحرق والسرقة وغير ذلك من أنواع العوارض المؤذية(٤٧).

وبعد، فالمفهوم العام للعافية هو أخذها بالمعاني العامة الدالة على كل ما يجلب الخير للعبد ويدفع الضر عنه .

خامساً : العرض المصطلحي :

يراد بالعرض المصطلحي :" الكيفية التي ينبغي أن تُعرض وتحرر عليها خلاصة الدراسة المصطلحية للمصطلح ونتائجها "(٤٨)، وغايته تقديم ما تم التوصل إليه من نتائج البحث المصطلحي إلى القارئ بطريقة تجعله يدرك المراد منه بسهولة ويسر(٤٩).

ويشترط فيه :

الدقة في جوانب متعددة ، منها : جانب الدقة في الاستيعاب : إذ فيه يكون البيان المجلي لكل العناصر المكونة لمفهوم المصطلح ومتعلقاته ".

وجانب الدقة في النتائج بحيث لا ينبغي أن تعرض إلا الخلاصات الصحيحة التي تم التوصل إليها .

---

(٤٥)"مرقاة المفاتيح "، للقاري (٣٠٩/٥).

(٤٦) انظر : "العين"، للخليل بن أحمد (٢٥٨/٢) ، "تهذيب اللغة"، للأزهري (٢٢٢/٣)، "الصحاح"، للجوهري (٢٤٣٢/٦)، "معجم مقاييس اللغة"، لابن فارس (٥٧/٤) .

(٤٧)انظر: "شرح حصن المسلم"، لمجدي الأحمد (١٤٣).

(٤٨) "نظرات في المصطلح والمنهج"(٢٦)

(٤٩) " العرض المصطلحي للمصطلح "، د. محمد أزهري بحث منشور في "مجلة دراسات مصطلحية " العدد الخامس ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م(٦٥).

وجانب الدقة في التعبير : بأن يعرض ما يعرف بلغة سليمة معتمدة على العبارات التي تفي بالغرض وذلك بتجنب الإيجاز المخل أو الإطناب الممل [٥٠].

وحسن الترتيب بعرض النتائج مرتبة ترتيباً مفهومياً حسناً بتقديم ما يستحق التقديم وتأخير ما يستحق التأخير [٥١].

ومحاور العرض هي :

- عرض التعريف وما يتعلق به
- كيفية عرض الضمائم والمشتقات .
- عرض القضايا والمستفادات .
- اعتبار المعجم المدروس كالمادة الواحدة [٥٢].

(٥٠)" العرض المصطلحي للمصطلح "، د. محمد أزهري (٦٥).

(٥١)المصدر السابق .

(٥٢)المصدر السابق .

خاتمة

١. ما زالت الدراسة المصطلحية في السنة النبوية بحاجة إلى كثير من التنظير والتطبيق حتى تتمايز وتصبح كياناً واضح المعالم في الدراسات المنهجية .

٢. الدراسة المصطلحية في متون السنة النبوية بابٌ ثريٌ، وقد أضحى الاهتمام بها وطرقها في الرسائل والبحوث العلمية مطلباً ملحّاً أكثر من أي وقتٍ مضى؛ لأنها سببٌ مؤثرٌ في توظيف السنة النبوية وسريانها بطرقٍ مختلفةٍ.

٣. يمكن تعريف " الدراسة المصطلحية لمتون السنة النبوية " بأنها : بحث منهجي جامع يتبين المصطلحات من نصوص السنة النبوية ، و يُبين المقومات الدلالية الذاتية للمصطلح ، وامتداداته داخل النسيج المفهومي للنص النبوي عبر ضمائمه واشتقاقاته ، والقضايا الموصولة به..

٤. الدراسة المصطلحية ستؤدي خدمة عظيمة في تقعيد فهم السنة النبوية ، وبيان مراد النبي ﷺ ، وحظ غير قليل من اختلاف شُرّاح الحديث في مفاهيم الحديث ، والدراسة المصطلحية تُسهم في الترجيح بين هذه الاختلافات .

٥. من أجل الحصول على أدق النتائج لا بد من العناية بإجراءات الدراسة المصطلحية.

فهرس المصادر والمراجع

١. التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق : إبراهيم الأبياري، نشر دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ

٢. تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق عبد السلام هارون، مراجعة محمد النجار، نشر المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر ، الدار المصرية للتأليف والترجمة.

٣. الجامع الصحيح وهو الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، المتوفى سنة ٢٥٦ هـ ، قام بخدمته محمد زهير بن ناصر الناصر، نشر دار طوق النجاة، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ. دراسات مصطلحية ، أ.د. الشاهد البوشيخي ، نشر دار السلام ، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م.

٤. سنن أبي داود. السجستاني، سليمان بن الأشعث. إعداد وتعليق : عزت عبيد الدعاس.ط ١. حمص: دار الحديث، ١٣٨٨هـ .

٥. سنن ابن ماجه ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، نشر دار الفكر ، بيروت .

٦. سنن الترمذي " الجامع الصحيح "، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، مؤسسة التاريخ العربي، دار إحياء التراث العربي.

٧. شرح حصن المسلم من أذكار الكتاب والسنة، للشيخ سعيد القحطاني، شرحه: مجدي بن عبد الوهاب الأحمد، صححه وعلق عليه: مؤلف حصن المسلم.

٨. شرح النووي على صحيح مسلم، للإمام محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي المتوفى سنة٦٧٦ هـ، نشر دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٩٢ هـ.

٩. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، نشر دار العلم للملايين — بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.

١٠. صحيح مسلم ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الحديث، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

١١. عمدة القاري شرح صحيح البخاري. العيني، بدر الدين محمود بن أحمد. ضبطه وصححه عبد الله محمود محمد عمر. ط ١. بيروت : دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ .

١٢. عون المعبود شرح سنن أبي داود، لأبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، مع تهذيب السنن لابن القيم، دار الكتب العلمية.

١٣. فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، للحافظ أحمد بن علي الشهير بابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ هـ ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب ، نشر دار المعرفة ببيروت ، ١٣٧٩ هـ .

١٤. في المصطلح النقديّ، أحمد مطلوب، نشر المجمع العلمي ، ٢٠٠٢م.

١٥. فيض القدير شرح الجامع الصغير، للعلامة محمد المدعو بعبد الرؤوف المناوي المتوفى سنة ١٠٣١هـ، دار الحديث.

١٦. المحكم والمحيط الأعظم، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي المتوفى سنة ٤٥٨ هـ ، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ- ٢٠٠٠ م.

١٧. المصطلح الأصولي عند الشاطبي ، فريد الأنصاري ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.

١٨. لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري المتوفى سنة ٧١١ هـ، تحقيق: عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، نشر دار المعارف بالقاهرة.

١٩. كشف المشكل من حديث الصحيحين ، للإمام أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، تحقيق:د.علي البواب، دار الوطن، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ.

٢٠. كتاب الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي

المتوفى : ١٠٩٤هـ تحقيق : عدنان درويش ومحمد المصري، نشر مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

٢١. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح. القاري، الشيخ علي بن سلطان . تحقيق: جمال عيتاني، دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٤٢٨هـ.

٢٢. معجم مقاييس اللغة، تأليف : أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا المتوفى سنة ٣٩٥ هـ ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، نشر دار الفكر، عام ١٣٩٩ هـ – ١٩٧٩م.